

## الباب الثالث

### طراز العصر الأموي في أسبانيا

١٣٨ - ٤٢٢ هـ - ٧٥٦ - ١٠٣١ م

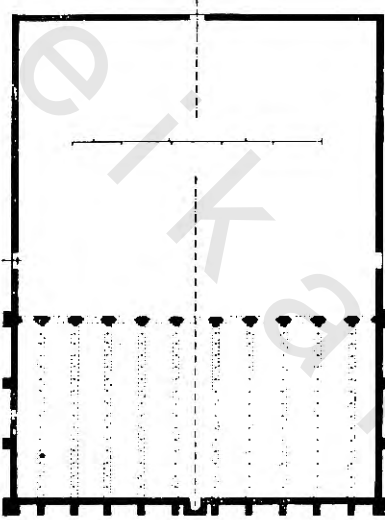
تمكن « عبد الرحمن بن معاوية » بن الخليفة « هشام » الأموي من النجاة من بطش العباسيين والفرار إلى شمالى أفريقيا ثم إلى أسبانيا . واستطاع في عام ١٣٩ هـ - ٧٥٦ م تأسيس دولة أموية عربية ذات حكم مستقل في الأندلس . واختار « عبد الرحمن الأول » مدينة قرطبة عاصمة لهذه الدولة . وكانت تعتبر من أهم مراكز الحضارة الثقافية في العالم الإسلامي بعد مدينة بغداد . وبالرغم من أن الأندلس فتحها العرب منذ عام ٩٢ هـ - ٧١١ م إلا أنه لم تظهر بها آثار الحضارة الإسلامية وفنونها إلا بعد أن صارت قرطبة عاصمة للحكم الأموي الغربي . وكان ذلك بدء ظهور طابع إسلامي عربي في قرطبة .

تبدأ في القرن العاشر الميلادي أهم مرحلة في تاريخ الفن الأموي في الأندلس وذلك في فترة حكم الخليفة « عبد الرحمن الثالث » ( الناصر ) ( ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ ) - ( ٩١٢ - ٩٦١ م ) ، الذي نادى بنفسه خليفة المسلمين بعد أن شاهد ما انتاب الخلافة العباسية من ضعف . وكانت قرطبة في عهده وفي عهد « الحكم الثاني » من أجمل المدن الإسلامية التي نافست بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، ولقد ازدهرت الحياة الثقافية في أسبانيا لمدة الثلاثمائة سنة التي استقر فيها الحكم للأمويين ، وامتد نفوذهم إلى شمال أفريقيا . ولكن حكم هذه الدولة العربية انتهى في عام ٤٢٢ هـ - ١٠٣١ م باستيلاء عدد من أسرى البربر المسلمين الذين يحكمون في شمالى أفريقيا على حكم بلاد الأندلس ، وهم قبائل ملوك الطوائف ، والمرابطين ، والموحدين .

## العمارة :

## عمارة المساجد :

يعتبر جامع مدينة قرطبة الكبير الذى شيده « عبد الرحمن الأول » فى عام ١٦٩ - ١٧٠ هـ ٧٨٥ - ٧٧٦ م من أجمل العماثر الإسلامية ، وكان تصميمه ( تصميم ح ) مستمداً من المسجد الأموى بدمشق ( تصميم ب ) . ولقد جدد هذا



ح - تصميم جامع قرطبة

المسجد فزيدت مساحته عدة مرات إلى أن بلغت الضعف ، وكان من نتيجة هذه الزيادات أن خرج تصميم المسجد عن النموذج المحورى الأموى . وكانت أهم زياداته فى عصر « الحكم الثانى » عام ٣٥٠ هـ ٩٦١ م حيث أضيفت له سبع بلاطات فى الجهة الجنوبية لرواق القبلة . كما أضاف عليه « عبد الرحمن الثالث » مثدنة فى عام ٣٣٩ هـ ٩٥٠ م ، ويعتبر المسجد بشكله الحالى أكبر جامع إسلامى بعد جامع سمراء . ويحيط

بالفناء المكشوف من الجهة الشمالية أروقة ذات عقود ، ومن الجهة الجنوبية يوجد رواق القبلة الذى يضم ١٩ بلاطة ، ويرتكز السقف على ١٨ باكية تتكون من دورين من العقود فوق بعضها . ويصل العقد الأسفل بالعقد الأعلى زوج من الأعمدة الصغيرة ترتكز على الأعمدة السفلية ، ولكثرة الأعمدة الموجودة برواق الجامع شبه أحياناً بالغابة ( شكل ٦٠ ) . ويلاحظ أن عقوده متعاملة مع جدار القبلة ، كما استبدل شكل العقد المستدير بعقد على هيئة حدوة الحصان ربما تكون فكرته مقتبسة من العمارة القوطية الغربية . ونلاحظ أن العقود السفلى مشرشرة وتشبه نيجان بعض الأعمدة مثيلاتها فى العمارة القوطية وذلك لأن أغلبها منقول من أماكن قديمة . ولقد ظهر ابتكار جديد فى هندسة القبة الموجودة فوق المحراب حيث قسمت جدرانها إلى أشكال ثمانية ورباعية متقاطعة ( شكل ٦١ ) .

### عمارة القصور :

شيد الحكام الأمويون قصراً ليكون مقراً للخلافة في قرطبة وزيد في بنائه في القرن العاشر الميلادي . ومن أحسن القصور الأموية ، القصر الفخم الذي شيده الخليفة « الناصر » بمدينة الزهراء قرب قرطبة . ويمتاز هذا القصر بزخارف جميلة منحوتة على جدرانه تتكون من عناصر نباتية مزهرة ، وتظهر في هذه الزخارف الأساليب البيزنطية التي عرفت في سوريا في العصر الأموي ، كذلك بعض الأساليب الفنية المحلية القوطية . ويلاحظ أن تأثير الفن العباسي المعاصر المنتشر في بلاد الشرق الإسلامي لا يظهر في هذه الزخارف .

### الزخارف المعمارية :

#### النحت على الحجر والجص والفسيفساء :

استخدم الأمويون في أسبانيا طريقة زخرفة الجدران بالنحت على الحجر والجص ، ومن أحسن أمثلة أساليب النحت على الحجر لوحتان رخاميتان أقامهما الخليفة « الحكم » على جانبي محراب مسجد قرطبة . ويلاحظ في زخارف هذه الألواح تفريعات النبات الدقيقة التي تتكون من نبات الأكاثناس مع تفريعات المراوح النخيلية وشجرة الحياة (شكل ٦٢) . كما يظهر بها ميل الفنان إلى إزالة المادة وذلك بتغطية السطوح بالزخارف المزدحمة وعدم ترك مساحات خالية : وهذا من أهم مميزات الفن الإسلامي . ويتضح من دراسة عناصر الزخارف تأثرها بالفن الأموي الذي عرف قبل ذلك بقرنين في سوريا . ويتكرر ظهور هذا الأسلوب في زخارف الجص التي عثر عليها في قصر الزهراء (ش ٦٣) وفي زخارف الفسيفساء التي تغطي محراب المسجد (ش ٦٤) .

### الفنون الصغيرة :

#### النحت على العاج :

من أحسن ما أنتجه الفن الأموي الغربي بعض علب من العاج مزخرفة بنقوش مزدحمة تغطي جسم العلبة وغطاءها ، ويلاحظ أن الحفر غالباً ما يكون عميقاً .

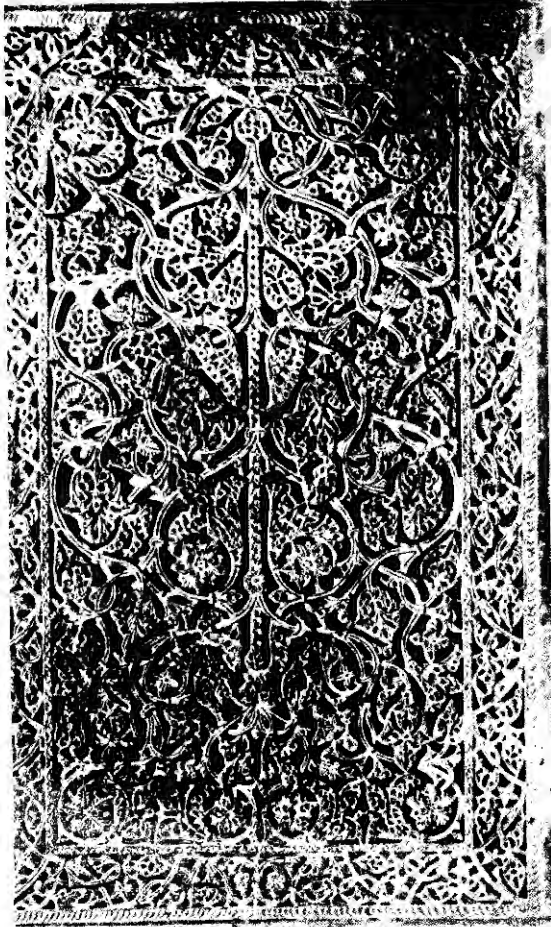
(شكل ٦٠ ، ٦١)

حرم جامع قرطبة . ولقد تم تشييد  
قبة المحراب الموجود في أسفل اللوحة ،  
في عهد الحكم الثاني ، العصر الأموي  
في أسبانيا ، القرن ٨ - ١٠ م .



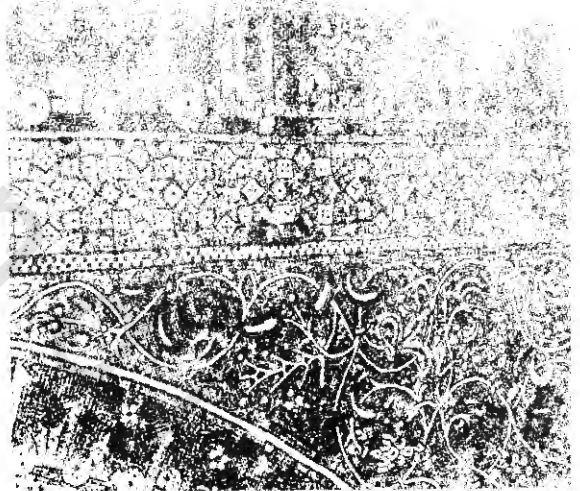
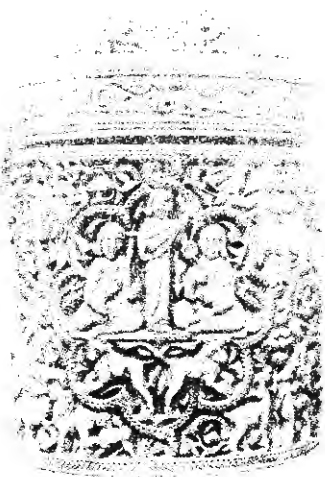
(شكل ٦٢)

لوحة رخامية منقوشة بزخارف نباتية  
بجوار محراب جامع قرطبة الأموي .

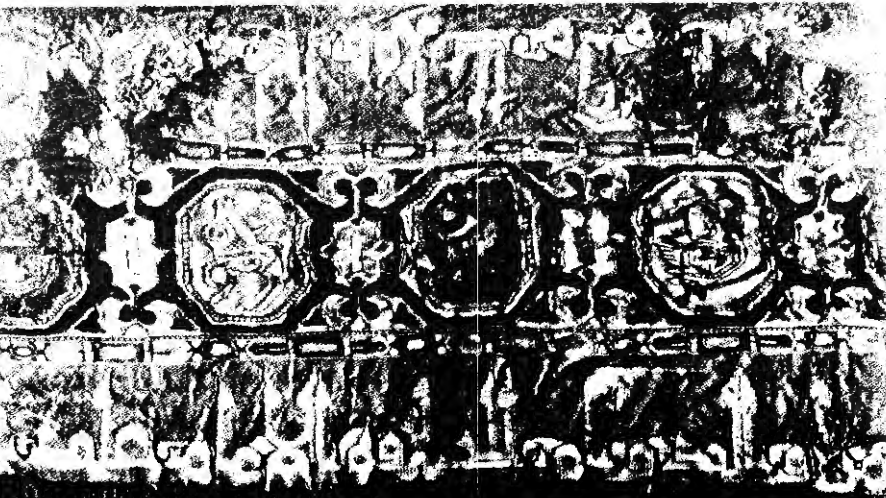


(شكل ٦٢)

بخاروف حصية من قصر عند الزحف  
الثالث بمدينة الإبراهيمية - القرن ١٥ -  
مصر - العصر الأموي - إسبانيا



شكل ٦٣  
مخطط الخزانة في قصر الإبراهيمية - القرن ١٥ -  
مصر - العصر الأموي - إسبانيا



شكل ٦٤  
مخطط الخزانة في قصر الإبراهيمية - القرن ١٥ -  
مصر - العصر الأموي - إسبانيا

وتشمل الزخارف موضوعات الطرب في البلاط كما تصور مناظر الصيد ، ويحمل الكثير من هذه العلب تاريخ صناعته وأسماء أصحابها . ويرجع مؤرخو الفنون أن مكان صناعة العلب التي ترجع إلى القرن الرابع وبداية الخامس الهجري - العاشر الميلادي - مدينة قرطبة ، أما العلب التي صنعت في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي فتنسب إلى مدينة «قونية» . ومن أجمل التحف العاجية التي صنعت في قرطبة علبة خاصة بالأمير «المغيرة» ابن الخليفة «عبد الرحمن الناصر» . ويغطي سطح العلبة زخارف دقيقة وضعت في مناطق ذات ثمانية فصوص ، نرى في إحداها (ش ٦٥) الموضوع الرئيسي وهو يصور شخصين جالسين على أريكة يحملها حيوانان متدبران ، ويقف وراء الشخصين سيدة تحمل آلة موسيقية . ويزخرف باقي السطح زخارف ذات عناصر آدمية وحيوانية ونباتية مأخوذة من موضوعات الصيد والطرب .

أما العلب التي صنعت في قونية في القرن الحادي عشر الميلادي فيبدو في زخارف عناصرها النباتية ، الأسلوب التجريدي كما أن الحفر قليل العمق .

### الخزف :

ومن الخزف الأموي الغرنى عثر ، على بعض أوان في مدينة الزهراء يحتمل أن تكون من صناعة الخزافين في بلنسية وملقا أو قرطبة ، وتشتمل زخارفها على طيور ووحدات نباتية وعناصر كتابية مرسومة باللون الأخضر والبيج الداكن فوق أرضية بيضاء . كما وجد بهذه المدينة بقايا أوان خزفية ذات بريق معدني . يحتمل أن تكون مستوردة من أحد مراكز الخزف العباسية التي اشتهرت بالبريق المعدني كسمراء أو ما شابهها من المراكز في إيران .

### النسيج :

ازدهرت صناعة المنسوجات الحريرية في الأندلس في العصر الأموي وكانت لها مراكز كثيرة في مرسية وأشبيلية والمرية<sup>(١)</sup> . ولقد وجدت نماذج جميلة لمنسوجات

(١) ذكر المؤرخ العربي الإدريسي ١٠٩٩ - ١١٥٤م أن المربة كان بها ثمانمائة مصنع لنسيج الأقمشة الحريرية الفاخرة - قصة العرب في أسبانيا - على الجارم - دار المعارف ص ١٢٢

حريرية من فترة حكم خلفاء قرطبة ومن ذلك قطعة حريرية باسم « هشام الثاني » ( ٣٦٦ - ٣٩٩ هـ ) ( ٩٧٦ - ١٠٠٩ م ) مزخرفة بجامات تضم عناصر حية ذات أسلوب محور (ش ٦٦) ، كما توجد بعض قطع تزيينها زخارف لأزواج من الحيوانات المتقابلة أو المتدايرة في دوائر .

نستخلص من ذلك أنه نتج عن فتح العرب لأسبانيا عام ٩٢ هـ ٧١٠ - ٧١١ م ، بدء اتصال فنون وصناعات الشرق الأوسط الإسلامي بالبلاد الأوربية الغربية ، ولقد بدأت الفنون الإسلامية في الظهور ببلاد الأندلس في فترة حكم الخلافة الأموية الغربية . ويتميز هذا الفن الأموي الغربي باحتفاظه ببعض الأساليب الكلاسيكية التي وجدت في أوائل مراحل الفن الإسلامي في العصر الأموي الأول ، كذلك بخلوه من نفوذ التأثيرات الفنية الآسيوية التركية التي ظهرت وانتشرت في فنون بلاد الشرق الإسلامي . وظهرت هذه التقاليد الفنية الإسلامية في مسجد قرطبة ، كما وجدت به أيضاً بعض الأساليب الأوربية المطورة كالعقود ذات الطابقين . ولقد اختلقت أحياناً بعض الأساليب المحلية - الفن القوطي الغربي - مع عناصر الفن الإسلامي الجديد مما نتج عنه فن أسباني إسلامي .

ولقد ظهر في هذا الفن الأموي الغربي أسلوب جديد خاص به استمر في الأندلس ، وهو الميل نحو تحوير الوحدات الزخرفية ولكن بأسلوب يختلف عن الأشكال النباتية المعاصرة التي عرفت في سمرقند . ولقد ساد هذا الأسلوب الجديد في جميع ما أنتج من الأشغال الفنية .